

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس السادس : من تفسير سورة النور من كتاب تفسير القرآن من صحيح الإمام البخاري

سورة النور

باب ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعُتُوهُمْ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ، بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: 12] إلى قوله:
﴿الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: 105]

4750 - حَدَثَنَا يَحْيَى بْنُ بَكَيْرٍ، حَدَثَنَا الْلَّيْثُ، عَنْ يَوْنُسَ، عَنْ أَبْنِ شَهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَروَةُ بْنُ الْزَّبِيرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَاصٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

عنترة بن مسعود، عن حديث عائشة رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا، وكل حدثي طائفه من الحديث وبعض حدثهم يصدق بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض الذي حدثي عروة، عن عائشة رضي الله عنها: أن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فايتهن خرج سهومها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، قالت عائشة: فاقرع بيننا في غزوة غزاهما سهومي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزل الحجاب، فانا احمل في هودجي، ونزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه تلك وقف، ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلا بالرحال، فقمت حين آذنوا بالرحال فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فالمست عقدي وحبسي ابتغاوه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بيري الذي كنت ركبته، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً، لم يتقلهن اللحم، إنما تأكل العلقة من الطعام، فلم يستكرا القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكانت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع، ولا مجيب فآمنت منزلتي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلى، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتي عيني فنمت، وكان صفوان بن المعتل السلمي ثم الذكوانى من وراء الجيش، فادلح فاصبح عند منزلة، فرأى سواد إنسان نائم، فاتاني فعرفني حين رأى، وكان رأى قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخررت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى آناء راحلته فوطئ على يديها فركبتهما، فانطلق يقود بي الرابطة، حتى أتبينا الجيش بعدما نزلوا مغارين في نهر الظهيره، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكى حين قدمت شهراً، والناس يغيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي، أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول: «**كيف تيكم**» ثم ينصرف، فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقحت، فخرجت مع أم مسطحة قبل المناسع وهو متربنا، وكنا لا نخرج إلا ليللا إلى ليل، وذلك قبل أن نتذم الكتف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائب، فكنا نتاذم بالكتف أن نتذمها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطحة وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف، وأمهما

بَشْرٌ بْنُ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ، وَابنُهَا مَسْطَحٌ بْنُ أَنَّاثَةَ، فَاقْبَلَتْ أَنَا وَأَمْ مَسْطَحٌ قَبْلَ بَيْتِي، وَقَدْ فَرَغْنَا مِنْ شَانَنَا، فَعَرَضْتُ أُمَّ مَسْطَحٌ فِي مِرْطَهَا، فَقَالَتْ: تَعْسَ مَسْطَحٌ، فَقَالَتْ لَهَا: بِئْسَ مَا قَلْتَ، أَتَسْبِينَ رَجُلًا شَهَدَ بِدَرَائِي قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهُ أَوْلَمْ تَسْمِعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ: قَلْتُ: وَمَا قَالَ؟ فَأَخْبَرَتِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِنْفُكْ، فَازْدَادَتْ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْنِي سَلَامًا ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تَيْكُمْ» فَقَالَتْ: أَتَذَنْ لِي أَنْ أَتَيَ أَبَوِي، قَالَتْ: وَآنَا حِينَذَ أَرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قَبْلِهِمَا، قَالَتْ: فَادْعُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَئْتُ أَبَوِي فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَمْتَاهُ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بَنِيَّ هَوَيْ هَوَيْ عَلَيْكَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ اُمَّرَأَةً قَطْ وَضَيْنَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرٌ إِلَّا كَثُرَنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقَالَتْ سَبَّحَانَ اللَّهِ، أَوْلَادَدْ تَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دُعَ، وَلَا أَكْتَحِلُ بَنَوَءِ، حَتَّى أَصْبَحْتُ أَبْكِي، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيَ، يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فَرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَعَمَّا أَسَامَةَ بْنَ زَيْدَ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوَدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهْلَكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَا عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُخْسِقِ اللَّهُ عَلَيَّ، وَالنِّسَاءُ سَوَاهَا كَثِيرًا، وَإِنْ تَسْأَلُ الْجَارِيَةَ تَصْدِقُكَ، قَالَتْ: فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِيرَةً، فَقَالَ: «أَيْ بِرِيرَةً، هَلْ رَأَيْتُ مِنْ شَيْءٍ يَرِيكَ؟» قَالَتْ بِرِيرَةً: لَا وَالَّذِي بَعْنَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْوَصَهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرُ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السُّنْنِ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَاتِي الدَّاجِنُ فَتَاكِلُهُ، فَعَقامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَعْذَرَ يَوْمَذِي مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلْوَلَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشِرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي» فَعَقامَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذَ الْأَنْصَارِيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَعْذُرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسَ ضَرَبَتْ عَنْقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانَنَا مِنَ الْخَرْجَ أَمْرَتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَعَقامَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَرْجَ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ احْتَمَلَهُ الْحَمِيمَيَّةَ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لِعَمِّ اللَّهِ لَا تَقْتَلَهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، فَعَقامَ أَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ وَهُوَ أَبْنَ عَمِ سَعْدٍ بْنِ مَعَاذَ، فَقَالَ لِسَعْدٍ بْنِ عِبَادَةَ: كَذَبْتَ لِعَمِّ اللَّهِ لِنَقْتَلَنَاهُ، فَإِنَّكَ وَنَافِقٌ تَجَادِلُ عَنِ الْمَنَافِقِينَ، فَتَتَأَوَّرُ الْحَيَانَ الْأَوْسَ وَالْخَرْجَ حَتَّى هُمَا أَنْ يَقْتَلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزُلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْفَضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، وَسَكَتَ، قَالَتْ:

فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِدَمْعٍ وَلَا أَكْتَحِلُ بَنَوْمًا، قَالَتْ فَأَصْبَحَ أَبْوَاهُ عَذْيَ وَقَدْ
بَكَيْتُ لِيَلَتَيْنِ وَيَوْمًا لَا أَكْتَحِلُ بَنَوْمًا، وَلَا يَرْقَأُ لِدَمْعٍ، يَظْنَانَ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالْقَبْدَىَ
قَالَتْ فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عَنْدِي، وَإِنَّا أَبْكَى فَاسْتَاذَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَادْنَتْ لَهَا
فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، قَالَتْ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ وَلَمْ يَجْلِسْ عَنْدِي مِنْذَ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ «لَبَثَ»
شَهْرًا لَا يُوحِي إِلَيْهِ فِي شَانِي، قَالَتْ فَتَشَهَّدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ
جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ «أَمَا بَعْدَ يَا عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بِرِيَّةً
فَسَبِّرْنِكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ الْمُؤْمِنَةَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهُ وَتَوْبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ
بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» قَالَتْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَقَالَتْهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسَسْ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقَالَتْ لَزَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ، قَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ لَأْمِي: أَجِبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ فَقَالَتْ وَإِنَّا جَارِيَةً حَدِيثَةُ السُّنْنِ لَا أَفْرَأُ كَثِيرًا
مِنَ الْقُرْآنِ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ، حَتَّى اسْتَقْرَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ
وَصَدَقْتُمْ بِهِ فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بِرِيَّةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بِرِيَّةٌ لَا تَصْدِقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ
اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بِرِيَّةٌ لَتَصْدِقُنِي، وَاللَّهُ مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلًا إِلَّا قُولُ أَبِي
يُوسُفَ، قَالَ فَصَبَرْ جَمِيلَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَنُ عَلَى مَا تَصْفُونَ [يوسف: 18]، قَالَتْ ثُمَّ
تَحَوَّلَتْ فَاضْطَبَعَتْ عَلَى فَرَاشِي، قَالَتْ وَإِنَّا حِينَذَا أَعْلَمُ أَنِّي بِرِيَّةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مِنْيَ بِرَاءَتِي،
وَلَكِنَّ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظْنَنَ أَنَّ اللَّهَ مَنْزَلٌ فِي شَانِي وَحْيًا يَتَلَى، وَلَشَانِي فِي نَفْسِي كَانَ
أَحْقَرُ مَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِي يَأْمُرُ يَتَلَى، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رَوِيَّا بِرِيَّنِي اللَّهُ بِهَا، قَالَتْ فَوَاللَّهِ مَا رَأَمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَاخْذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ
الْبَرَّاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لِيَتَحدَرُ مِنْهُ مَثَلُ الْجَمَانِ مِنَ الْعَرَقِ، وَهُوَ فِي يَوْمِ شَاتِ، مِنْ نَقْلِ الْقَوْلِ
الَّذِي يَنْزَلُ عَلَيْهِ، قَالَتْ فَلَمَّا سَرَيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَيَ عَنْهُ وَهُوَ
يَضْحِكُ، فَكَانَتْ أَوْلَ كَلَمَةً تَكَلَّمُ بِهَا: «يَا عَائِشَةَ، أَمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَأَكَ» فَقَالَتْ
أُمِّي: قَوْمِي إِلَيْهِ، قَالَتْ فَقَالَتْ لَا وَاللَّهِ لَا أَقُولُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَانْزَلَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عَصِبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُمْ» العَشْرُ الْذِيَّاتُ كُلُّهُمَا
فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بِرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرُ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ يَنْفَقُ عَلَى
مَسْطَحَ بْنِ أَنَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرَهِ: وَاللَّهِ لَا أَنْفَقُ عَلَى مَسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الذِي قَالَ
لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَانْزَلَ اللَّهُ: «وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يَوْتَوا أُولَيِ الْقُرْبَى

وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفُحُوا، أَلَا تَجِدُونَ أَنَّ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَلَى وَاللَّهُ أَنِّي أَحَبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مَسْطَحِ
النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يَنْفَقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَنْزَعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ : وَكَانَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بْنَتَ جَحْشَ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ : « يَا زَيْنَبِ مَاذَا
عَلِمْتَ أَوْ رَأَيْتَ ؟ » فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمَيْتُ سَمْعِي وَبَصَرِي، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ :
وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَاءِلُنِي مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ
بِالْوَرَعِ وَطَفَقَتْ أَخْتَهَا حَمْنَةٌ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَمَّلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِغْلِبِ.

عصر يوم الأحد 16 محرم 1444 هجرية

مسجد إبراهيم _ شدوغ _ سينيون